

رمضان في مصر

قصص، معان روحية، احتفالات وموَدّة

القاهرة- مشيرة الفيشاوي

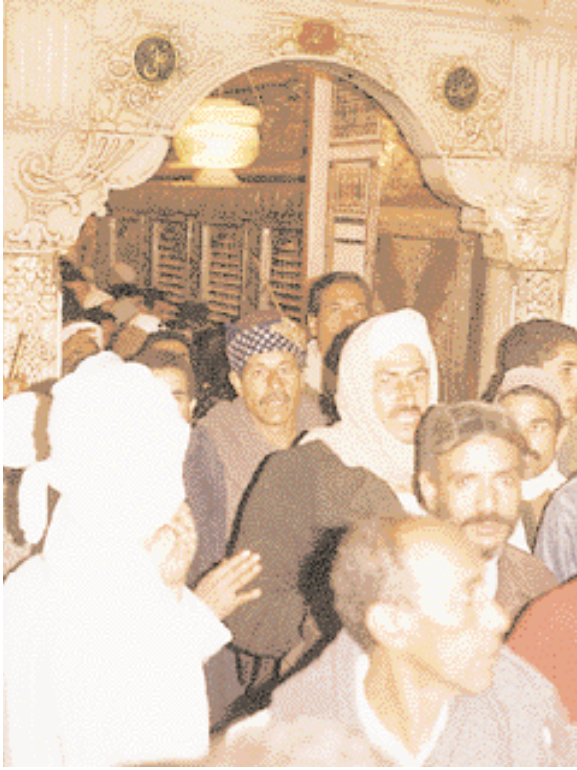


فوانيس رمضان.
Ramadan Lamps.

يحتفل المسلمون في مصر بقدوم شهر رمضان المبارك بإنارة المساجد وتزيينها في شهر رمضان المعظم أسوة بسيدنا عمر بن الخطاب- رضي الله عنه - حيث كان أول من قام بتزيين المساجد وإنارتها في هذا الشهر الكريم. حتى يمكن للمسلمين إقامة الشعائر الدينية والصلوات الدينية. وقد مرّ على ابن أبي طالب كرم الله وجهه ذات ليلة رمضان على المساجد فوجدها مضاءة من الداخل والخارج بمصابيح. فقال: "نور الله على عمر في قبره كما نور علينا مساجدنا".

وكلمة رمضان مشتقة من كلمة "رمضاء" ومعناها الحجارة المحماة وسمي بذلك الاسم لأنه يرمض الذنوب أي يحرقها. وقد فرض الصيام في شهر رمضان في السنة الثانية من الهجرة. لكونه الشهر الذي أنزل فيه القرآن الكريم.

وشهر رمضان لدى المصريين له طقوس وقصص وحكايات ومظاهر احتفالية متفرقة. تبدأ بتجمع الناس حول أجهزة التلفاز والراديو ترقباً لسماع رؤية هلال هذا الشهر الكريم وتهليل الأطفال والكبار لحظة إعلان ثبوت رؤيته. وتردد في الإذاعتين المسموعة والمرئية أغنيات شهيرة مثل: "رمضان جانا" لمحمد عبد المطلب، و "وحوي يا وحوي" لأحمد عبد القادر، "رمضان هل هلاله"، وغيرها من الأغاني الرمضانية الخالدة وتتواصل الاستعدادات بتزيين الشوارع ونصب الخيام قبيل وأثناء بدايات حلول شهر رمضان. وتستعد مساح الثقافة الجماهيرية لتقديم فعالياتها من توشيح وذكر وفنون غنائية ودرامية إسلامية. بينما تغلق المساح الخاصة أبوابها. وتبدأ المحلات في نصب الشوادر، ويبدأ صانعو الكنافة والقطايف في تجهيز معداتهم لهذا الزخم من الناس. مع رواج بيع التمور بأنواعها المختلفة قبيل حلول الشهر الكريم وأثناءه. وكذلك بيع الفوانيس بأشكالها المختلفة والتي تزخر بها المحلات ويتزاحم الكبار والأطفال لاقتنائها سواء لتزيين منازلهم بها لإضفاء الجو الرمضاني عليها. أو لإهدائها لأطفالهم الذين يحملونها ويتغنون بالأغنية القديمة الشهيرة "وحوي يا وحوي". <



صورة من الداخل لمسجد سيدنا الحسين.
Inside the shrine of Imam Hussein.

**وعلى صعيد آخر، ففي الشهر الكريم يبدأ
المستطيعون من الخيرين في التحضير لموائد الرحمن، حيث
ينصبون الشوارد والخيام أمام البيوت والمحال التجارية وفي
الشوارع والميادين وطرق السفر لإطعام السائل والفقير والمسافر
الذي طال به الطريق.**

فانوس رمضان

وبعد أن كان الفانوس يستعمل للإضاءة، جدت له بدعة جديدة إذ حمله الأطفال بعد طعام الإفطار في رمضان المبارك وراحوا يطوفون به في الشوارع والأزقة، يطالبون بالهدايا من أنواع الحلوى التي ابتدعها الفاطميون، منشدين:

إدونا العادة ربي يخليكم
لبسدة وقلادة ربي يخليكم

وبدأ الناس منذ زمن الفاطميين، يتفننون في إخراج الفوانيس في أشكال هندسية بديعة رغم أنها تعتبر من أقصر الصناعات عمراً، حيث تعيش شهراً واحداً وتموت بقية العام، فلم تعد تستعمل للإضاءة.

وفي سوق "الشماعين" في القرنين الثامن والتاسع الهجري كان يحتفل بقدم شهر رمضان فتعلق على واجهات الحوانيت وعلى جوانبها أنواع الفوانيس المتخذة من الشمع، وتسنمر حوانيت الشمع مفتوحة إلى منتصف الليل، ويفضل هذا السوق وتقاليد تجارته نشأت فوانيس رمضان التي نعرفها الآن، وإلى وقت قريب كان السمكية يهتمون منذ شهر شعبان بعمل الفوانيس التي توضع داخلها الشموع ويبدعون في أشكالها وألوان زجاجها ويزينون بها واجهات حوانيتهم فيفرح بها الأطفال ويسعون لشراؤها، غير أن تكنولوجيا العصر الحديث أزاحت فوانيس الشموع عن عرش فانوس رمضان ليحل محلها فوانيس تعمل بالبطارية ذات أشكال نمطية جامدة تخلو من روح الإبداع والابتكار.

المسحراتي

ومن أهم الشخصيات الرمضانية في مصر، المسحراتي، والذي بدأ في الظهور في عصر الفاطميين بأمر من الخليفة الفاطمي (سنة 238 هجرية 852 ميلادية)، للقيام بمهمة إيقاظ المسلمين للسحور، وهو يردد: "إصح يا نايم... وهدّ الدايم". ورغم اختراع الساعات المنبهة والتقدم العلمي المذهل، إلا أن وظيفة المسحراتي لم تنقرض، لارتباط المصريين بها، لكونها جزءاً من عبق جو نفسي متفرد ومرتبطة بشهر رمضان، حتى وإن انتفت الحاجة للغرض الأساسي من ورائها. وكان أشهر المسحرين في التاريخ يدعى "أبا نطقة" والذي ارتبط اسمه بابتكار شعبي يسمى "القوما"

له وزن مختلفان وكان يسحر به الخليفة العباسي الناصر لدين الله مقابل راتب سنوي. وكان المسحراتي إذا ما قارب شهر رمضان على الانتهاء، وحش الشهر بقوله: "لا أوحش الله منك يا شهر الصيام، لا أوحش الله منك يا شهر القيام، لا أوحش الله منك يا شهر الولائم، لا أوحش الله منك يا شهر العزائم، لا أوحش الله منك يا شهر الكرم والجود".

الفوايزر.. والدورات الرمضانية

من ناحية ثانية تتعدد خلال شهر رمضان المعظم في مصر أشكال من المباريات والمنافسات بين الناس فعلى الصعيد الروحاني يتبارى الكثيرون في ختم وتلاوة القرآن الكريم عدة مرات، والتقرب إلى الله وإقامة صلاة التراويح، كما تحتم المنافسة في إرضاء الله وتجنب معاصيه، أما الأطفال والشباب والكبار فينظمون دورات رمضانية في كرة القدم وغيرها من الألعاب الرياضية.

ومن ناحية ثانية فيرمج التلفزيون والراديو وفي مقدمتها البرامج الدينية وفوايزر رمضان والأعمال الدرامية الاجتماعية والدينية تسهم في جمع شمل الأسر المصرية للمشاهدة أو الاستماع، وكذلك يجتمع معظم المصريين حول طاولة واحدة عند انطلاق مدفع الإفطار والالتقاء بالأهل والأصدقاء ووصول الرحم، وتتفنن ربات البيوت المصريات في تقديم أشهى الوجبات على مائدة الإفطار فور انطلاق مدفع الإفطار ورفع آذان المغرب في هذا الشهر الكريم حيث التمر والمرطبات كتمر الدين والكرنديه والتمر هندي والعرقسوس والخشاف ووصولاً إلى الموائد العامرة باللحوم والطيور والأطباق اللذيذة الشهية وفي مقدمتها حساء الشورية وانتهاجاً بالحلوى كالكنافة والقطايف والبقلاوة والبسبوسة ولقمة القاضي (الزلاية).

مدفع الإفطار

ولمدفع الإفطار حكاية طريفة حدثت بالصدفة فقد كان والي القاهرة في عهد الفاطميين قد تلقى هدية

عبارة عن مدفع، فأمر معاونيه بتجربته وصادفت هذه التجربة موعد غروب الشمس في أول يوم من أيام شهر رمضان، فظن سكان مدينة القاهرة أن طلقة المدفع هذه كانت إيذاناً لهم بالإفطار، وفي اليوم التالي تجمع مشايخ حارات القاهرة عند بيت الوالي ليشكروه على هديته لهم ومنذ ذلك اليوم أمر الوالي بإطلاق المدفع عند غروب الشمس وأصبحت عادة رمضانية ما تزال سارية حتى الآن.

موائد الرحمن

وعلى صعيد آخر، ففي الشهر الكريم يبدأ المستطيعون من الخيرين في التحضير لموائد الرحمن، حيث ينصبون الشوارد والخيام أمام البيوت والمحال التجارية وفي الشوارع والميادين وطرق السفر لإطعام السائل والفقير والمسافر الذي طال به الطريق.

ويحلو في القاهرة - مدينة الألف مئذنة - السهر حتى الصباح في هذا الشهر الكريم وخصوصاً في المناطق الشعبية فتقام الاحتفالات والمهرجانات عقب صلاة العشاء والتراويح حيث تكتظ الشوارع في أحياء مصر وخاصة في حي الحسين الذي يشهد جموعاً كثيرة من الناس جاؤوا من كل أنحاء مصريين يستمتعوا بليلتي رمضان في القاهرة، وترى الأطفال وهم يلعبون في خفة وبراعة بالفوانيس، وترى الناس وهم يدخلون إلى مسجد الحسين لزيارة الضريح وقراءة فاتحة الدعاء ويبدأ تجوالهم في هذا الحي الشهير حيث المأكولات والمشروبات والباعة المتجولين والمحلات والمطاعم والمقاهي المفتوحة طوال الليل بخان الخليلي، فمنهم من يتناول سحوره والذي يتربع فيه الفول المدمس وعلب الزبادي (اللبن) على عرش موائد سحور رمضان طوال الشهر الكريم.



فنانون مصريون مشهورون في مقهى الفيشاوي (من اليمين) : كمال الشناوي، لولا صدقي، فريد الأطرش، سامية جمال، شادية، حسن فايق، محسن سرحان، وتحية كاريوكا.
Famous Egyptian artists in El- Fishawy, (from right): Kamal Shanawy, Lula Sidqi, Farid al-Attrash, Samia Jamal, Shadiah, Hassan Faiq, Muhsin Sarhan and Tahya Karuka.

مقهى الفيشاوي

وفي رمضان يحلو السهر خاصة في المقاهي. وفي منطقة الحسين والتي تحتفظ بطابع القاهرة الفاطمية وحيث يحيط بها من كل جانب سوق خان الخليلي الشهير لموقعها الفريد بين جامعي الأزهر الشريف والحسين يتربع مقهى الفيشاوي.. أشهر وأعرق مقهى بمصر والشرق الأوسط. فقد تأسس عام 1772م على يد الفيشاوي الكبير. وهو مقهى الأدباء والساسة والفنانين أمثال الأديب الكبير نجيب محفوظ حيث خرج بثلاثيته الشهيرة "بين القصرين. وقصر الشوق. والسكرية" من بين جنباته فيما يمكن تسميته بيانوراما الواقع.

من ناحية أخرى. فقد نظمت في مقهى الفيشاوي معظم قصائد الشعراء أحمد رامى وبيرم التونسي لأم كلثوم. وكذلك ألحان شيخ الملحنين الشيخ زكريا أحمد. كما ارتاد المقهى كثير من الزعماء والسياسيين

أمثال جمال الدين الأفغاني وسعد زغلول والإمام الشيخ محمد عبده والفريق عزيز المصري. والملك فاروق وملوك ورؤساء ورؤساء وزارات وأمراء ووزراء عرب وأجانب. وكان يعتبر المقهى الوحيد الذي يمكن للنساء الجلوس فيه وكذلك العوائل دون حرج. ويضم هذا المقهى قطعاً أثرية نادرة لا تقدر بثمن من تحف ومرايا بلجيكية ضخمة وثريات أتت بها الفيشاوي الكبير ومن تبعوه من مزادات كانت تقيمها القصور الخديوية والملكية في مصر. والتي كانوا يأتون بها من أوروبا. وعندما يجلس الفرد في هذا المقهى يشعر أنه يعيش حقب تاريخية معينة في عصور مختلفة كالعصر الفاطمي والملوكي وغيره. وذلك أثناء احتساء الشاي الأخضر الذي انفرد المقهى منذ القدم بتقديمه لرواده. والنرجيلة والقهوة التركية التي تعيد إلى شاربها ليالي الشرق القديمة.

وقد وصف أحد الزجالين المشهورين مقهى الفيشاوي بأبيات زجلية قال فيها:

في كل ركن جميل ... سياسه بالزنجبيل ... وشعـر بالينسون
وفن بالقهوة ... مع دردشة حلوة ... شاملة أدب وفنون
وقرب نهاية شهر رمضان المعظم. اعتادت الإذاعات المصرية المسموعة والمرئية أن تذيع أغنية مؤثرة للمطربة شريفة فاضل تقول فيها:
بدري... بدري... بدري... والأيام بتجري... والله لسه بدري والله... يا شهر الصيام.
ويبدد المصريون حزنهم على فراق الشهر الكريم بالإعداد للاحتفال بعيد الفطر المبارك بعمل كعك عيد الفطر المبارك والغريبة والبسكويت بكافة أنواعه. وينتهي شهر رمضان بكل ما حمله من بهجة وفرح وتقارب بين المصريين. الذين ما أن يلبث أن ينتهي عيد الفطر المبارك بأيامه الثلاثة. حتى يبدأوا في العد التنازلي من جديد في شوق وحنين لحلول شهر رمضان المقبل. ■